محمد سمارة

ثلاث قصص قصيرة

١ ـ الساعة

داخل غرفة صغيرة مربعة ، كان شاب يرقب برهبة عقربي الساعة الجدارية الضخمة ، وهما يقتربان من الخامسة ، ولم يكن يدري ما يتعين عليه ان يفعل . ترك رأسه على الطاولة وقد خيل اليه ان كل شيء ينجه نحو ما كان قد رسم له مسبقا ، وان الفتاة التي ينتظرها لن تأتي ، وهذا ما جعله يحدق في البندول اذ هو يتراقص كما لو كان مشنقة . وقال في نفسه : ما معنى ان تتركني وحيدا في غرفة خانقة ؟ واردف يائسا : ذلك ما كان يتحرك في رأسي تماما ، وها هي الطرق تتوضح لاكتشف انها ذات نهايات مغلقة .

وضرب الطاولة بغضب ، وجأر ، وتجول في مساحة الامتار الثلاثة ، وكانت عيناه معلقتين بالساعة اذ هي تكاد تعلن الخامسة تماما.

وهو يذكر جيدا تلك الاشياء الغامضة التي طالما تحركت في رأسه بالحاح دون ان يدرك لها سببا ، ودون ان يدري ما عليه ان يقوم به ، حتى اذا ما مر وقت ، رأى ما كان يتحرك في رأسه كحقيقة ، وهذا ما جعله الان يقف مأخوذا مندهشا ، وقال : والان .. تدور في رأسي اشياء غامضة ، وهاهي تتضح شيئا فشيئا لتكشف لي ما غمض علي وهو انني سأموت اذا ما دقت الساعة خمس دقات دون ان تأتي الفتاة التي انتظرها .

وحملق في البندول اذ هو ينوس ـ دونما صوت ـ الى جهة اليمين واليسار ، غير ان الشاب كان يسمع له رنينا هائلا ، ما كان بقدرته ان يقف ازاءه هادئا .

وقال : لم يبق بين عقربي الساعة والرقم الخامس الا القليل ، فهل في نية الفتاة ان تأتي ؟ وشخص ببصره الى البندول ، وخطر له انه سيدق عما قليل دقاته الخمس ويسقط هو على اثرها ميتا وينتهي كل شيء .

واطل من النافذة برهبة ، وفي اللحظة التي كان يتركها سمع ـ لدهشته ـ الدقة الاولى من الدقات الخمس ، فانتفض جسده ، وتقلص وجهه ، وما لبث ان سقط على الارض ، ولم يكن قد اطل من النافذة جيدا ليرى الفتاة وهي تقترب من الباب الرئيسي بمرح وتغني .

٢ ـ رصاصة اخيرة

حين كان الطير يرفرف مقتربا من شجرة وارفة ضخمة ، كانت عينا الرجل الواقف على مبعدة امتار ترقبان الجناحين الابيضين وهما يختبئان بهدوء بين الاغصان التي تحولت بفعل البرودة الشديدة الى كتل ثلجية بيضاء وقال مندهشا : هل باستطاعة هذا الطير ان يصمد بين هذه الاغصان المثلجة ام انه سيتجمد هو الاخر ؟ وفكر ان كل شيء في هذا الخلاء ينذر بعاصفة شرسة ربما تكتسح الاشجار والطيور والاعشاب ، وهذا يعني كما تراءى للرجل انه سيقف عما قليل وسط كتل من الثلج وحيدا الا من بندقية عتيقة ، واضاف بضجر : هل بقدرة هذه البندقية ان تصطاد شيئا ، سيما وانها لا تحتوي الا على رصاصة واحدة ، وربما كانت فاسدة ؟ وبحث بعينين مجهدتين عن الطير وقد بدا كل شيء حوله ساكنا الا من نسمات باردة كانت تمر بالقرب من اذنيه ، غير انه كان يدرك ان ثمة عاصفة ثلجية تنتظر .

رفع البندقية التي كان قد ركنها الى جانب، فاكتشف انها تحولت الى قطعة من الجليد ، وقال : كم رصاصة ذهبت هدرا هذا النهار ؟

وفتح مكبس الامان ، ونظر الى الطير الذي لم يكن يدل على وجوده أي شيء ، مترقبا ظهور حركة ما ، وكانت العاصفة قد بدأت تشتد وذوائب الاشجار الصغيرة تنثني مع حركة الريح وتلامس الارض .

اقترب من الشجرة ، ورأى الطير وهو يتحرك بين مجموعة اغصان متشابكة ، وقد خمن ان الطير رآه ، ومعنى ذلك انه ما ان يرفع بندقيته حتى يرفرف الطير ويضيع كل شيء . وقال ساخرا : ومن يقول انني سأصطاده ؟ لقد هدرت نصف هذا النهار بين الركض وراء الطيور، والسقوط فوق كتل الثلج دون ان اصطاد حتى حرذونا.وقد ادرك الرجل انه سيعود الى البيت هذا النهار وحيدا الا من بندقية فارغة . وراقب الطير الذي شرع يتململ في مكانه ويجيل فيما حوله عينين خرزيتين ، وقال : لو كنت قد اصطدت طيرا واحدا مقابل ما هدرت الرصاص لكنت قد ربحت على الاقل شيئا . واضاف : وهل بامكاني اصطياد هذا الطير برصاصة واحدة ؟ وحملق في الطير الذي لم يكن يبعد عنه سوى مقدار ثلاثة امتار ، ورأى الريش الناعم الابيض وهو يتموج مع حركة الريح ، واستعاد اللحظات التي هدرها متسللا بين الوديان والثلوج ، وهمس بغضب : وماذا بقدرة رصاصة اخيرة ان تفعل ؟ ونظر الى الطير الذي فوجيء به يرفرف فوق الاغصان ، وينشر جناحين ابيضين ويطير .

٣ ـ النافذة

لم تكن الفتاة المطلة من النافذة على الفتى الواقف على رصيف الشارع لترى العصفور وهو يرفرف لصق نافذتها بجناحين لحميين ويزغرد . لوح الفتى بورقة زرقاء مطوية ، فالتهب وجه الفتاة ، ورسمت في الهواء اشارة فهمها الفتى للتو .

زغرد العصفور وقفز بمرح الى احد الاسلاك الكهربية الملاصقة للنافذة ، غير ان احد جناحيه اشتبك بكتله من الخيوط الدقيقة الملتفة ، وكان ثمة صبي صغير يرقب ذلك . تراجع الفتى ، والتقط حجرا صغيرا ، وضعه داخل الرسالة ، وما لبث ان القى به الى النافذة . التقطت الفتاة الرسالة ، وقرأت ما فيها ثم مدت رأسها من النافذة لترى الفتى وهو يلوح لها بعصبية ، ففكرت انه لا شك قد انتظر في الشمس طويلا . للحظة تفوه بكلمات لم تستطع الفتاة سماعها لكنها رأته وهو يرسم في الهواء اشكالا مبهمة ، استطاعت الفتاة اخيرا ان تميز منها شكلا على هيأة سهم يتجه بشكل عكسي ففهمت الفتاة هذه الاشارة . اغلقت النافذة ، ونظرت في المرآة ، واتجهت الى الباب ، وكان العصفور لايفتا يرفرف بين الخيوط الملتفة بذعر ويزغرد .

بغداد